للجهل فقال له الحمل انما اتكلم بالواقع المشاهد فقال الذئب لا ينبغي ان تسفه قولا قائله وما عليك الاّ ان تسمع وتطيع فمشى الحمل وهو يقول قاتل الله القوة ما اشد ولوعها بسلب حقوق الضعفاء

حرب الاقلام بجيوش الاوهام

معلوم ان الحرب المتداولة في العالم داعيتها نشر دين او حب استبداد على الغير وقد تنوعت صور الحروب لاعدام الانسان بقدر ما توصل اليه قوة الاختراع وما عند المعتدي من حب الأثرة والانفراد بالسلطة فكانت الحروب الاولى مضاربة بالعصيّ ثم مراشقة بالنبال ثم مطاعنة بالرماح ثم مجالدة بالسيوف ثم انتهت الى المراماة بالبنادق والمقاذفة بالمدافع وكل نوع اخذ لهُ دورًا واعدم خلائق لا يحصون كثرة وترك لهُ في النفوس اقبح وقع وقد اخترعت الدول الآن نوعاً اخف كلفة واكبر تاثيرًا وهو الايهام المحير للافكار الموقع في الارتباك والاضطراب فاخذت كل دولة تزيد في جنودها وتهيئ الجيوش وتحشدها في حدودها وتصدر الاوامر بعمل الاستحكامات وبناء السفن وتكثير الآلات واعداد المهمات ولا حديث لكل دولة بين وزرائها ونوابها الا الاستعداد للحرب حتى ان من نظر الى الاهبة التي عليها اوربا الآن وصوّر انها اثارت الحرب يوماً ما ايقن ان نصف العالم على وشك العدم ومعظم العواصم عرضة للدمار والخراب · ومعلوم ان كل دولة مطالبة بحق واخذ ثار او متوقعة هجوم جارتها عليها فالخوف واقع في كل امة من سكان الارض وليس هناك امة تبيت تحت سماء الامن حتى همج اواسط افريقية فانهم وصلتهم عدوى اوربا

وامتدت اليهم الاطماع فاصبحوا بين مخالب المنون بدعوى توسيع الاستعمار وتعميم المدنية وقطع عروق الجهالة والخشونة من العالم وهي عالم باطلة ودعاو كاذبة يبعث على افترائها حب الاستبداد من امم تدعي الحرية وهم لم يشموا لها رائحة الى الآن · وبهذا الاهتمام بشان الجند والاساطيل والحصون اصبح الكون يموج في بعض حدساً وتخميناً · ثم برز فرسان الاقلام في ميدان الارهاب والتحذير والايهام والتخويف والانذار والوعيد فشغلوا الافكار وتركوا الناس في حكم الفوضى يتجارون على مكاتب الجرائد والتلغرافات يتساءلون عن الاخبار اليومية والاقوال الوهمية وقد ارتجفت قلوبهم وبلغت الرهبة منهم مبلغ تصديق تلك الايهامات فخافوا من تهديد هذا الوكيل ووعيد ناظر خارجية كذا وانذار دولة كذا وزيادة الجند بين امة كذا كأن تلك الامور حقيقية محققة الوقوع وما هي الاحروب وهمية التزمتها الدول تخفيفاً لمصرف الحروب وحقنا للدماء · فان كل عاقل يعلم ان الدول موزعة المطامع في العالم وكل دولة ترى انها احق باقليم كذا لكونه طريقها الى املاكها والاخرى تقول بل انا احق به لكونه مجاوراً لاملاكي وفيه مصالحي وهذه تقول ان هذا اقليمي وملكي الشرعي يشهد بذلك فلان وفلان وبهذا التخالف لايمكن لامة ان تسطو على امة ولها رقيب يعارضها او مثيل يدافعها الا اذا اجتمع الدول على قسمة الكرة قسمة افراز وانعقد اجماعهم على تعيين النقط وتحديد الحدود فان المطامع تنقطع عند ذلك وتمتنع المعارضات خشية ان ينقض الجميع على المعارضة بحكم الاتفاق وهذه نقطة يعز الوصول اليها فان كل دولة تمني نفسها بانها ستكون مالكة الدنيا يوماً ما وما دامت هذه الافكار جائلة في رؤس رجالها فانه يستحيل الوصول

الى مجمع لاجماع الآن . الاَّ ان بقاء الدول على ما هي عليه من تكثير الجند واعداد العدد مما يقطع العقل باستحالته لتحملها في سبيل تاييده و بقائه ما يعود على ما ليتها بالا فلاس وعلى رجالها بالملل والسآمة فلا بد وان يأتي يوم فيه تخفف الدول اثقالها وتطرح عن عواتقها احمالاً اضعفتها ولا تصل لذلك الا باتفاق على سلم محدودة وهذا موهوم او حرب اشتراكية وهذه هي مرجع الافكار غير ان العلة لم تزل في غموض ومعظم العالم يظنها القطعة المباركة الواقفة في باب افريقية التي لا تحمل سلاحاً ولا تريد قتالاً وهي التي حركت العالم للمحالفات والمعاهدات باصبع من يريد ان يعبث بالدول ليتناول طووس الشرق بيد الصيد والقنص وقد اتخذ له كتاباً ينازلون الضعف باقوال الايهام والوعيد ليمكنوا الرهبة من قلوب من قصدوا استعبادهم واذلالهم ظانين ان كل ما تصوروه يقع في قلوب الناس وهو وهم دعا اليه الجهل بحقائق العالم والاغترار باغرار يقفون بابوابهم لا يدرون لاية علة وقفوا ولا يهاب على طاووس الشرق وجود افراد اوقعتهم الجهالة في حبالة الاوهام فظنوا خلف السراب ماء وغابوا عن الحقوق المقدسة المكفولة بضمانة الدول ولئن سكتت الدول ساعة فستقول اعواماً ولئن سكتت اعواماً فستتحرك اياماً فليبرق كتاب الاوهام ويرعدوا حتى تنكشف الحقائق وترفع ستارة الاوهام عن نار موصدة او سلم دائمة قاعدتها رد الحقوق لاهلها ووقوف كل دولة عند حدودها التي عينتها لها المعاهدات . وبهذا نرى ان السكون احسن ما تحلى به الشرقيون الآن طارحين ايهام المهددين خلف ظهورهم ضاربين باقوال المنذرين حائط الاهدار منصرفين عن هذه الترهات الى ما يهمهم من

التعلق بملوكهم وامرائهم والتوصل الى حفظ الحقوق برعاية جانب الدول والمحافظة على الامن العام وقيام كل عامل بعمله على قانون العدل وطريق الاستقامة ليحق الله الحق و يبطل الباطل ولوكره المجرمون · وليعلموا ان مصيبتهم بهذه المبارزات قبضت نفوس اخوانهم في جميع الاقطار فعادوا للتساؤل فيما كانوا يسمعونه عن مهدديهم من انهم محبون للامة الشرقية مدافعون عنها لا يتعرضون لاضرارها ولا لسلب سلطتها من سطانها وامرائها وقد تبين لهم ان تلك الكلمات كانت بروقاً خلبية وحيلا سياوية استمالوا بها النفوس وجذبوا القلوب حتي وقع في حبالتهم من وقع وقد انكشف الغطاء ووضح الصبح لذى عينين وايقن الكل ان القصد الاستعباد بسوط الاستبداد · وحركات النفوس لا تزال تختلج في الصدور والقوّة تمانعها والعوارض تدفعها حتى تخرج من مقارّها الى ساحة حياة او موت والكون شاهد عدل على تربية امم كثيرة تحت احضان امم أُخرى وعودتها لعز الاستقلال والتخلص من قيد الاستعباد · ومن هذا نعلم ان ضغط اوروبا على افكار الشرقيين ومسارعة ملوكها للتغلب على اقطارهم هو عين الحياة للشرق واهله وباعث المحافظة على الحقوق والمطالبة بها عند تمكنهم من فرصة الظفر فان اعمال اوروبا في الشرق ما هي الا دروس تعطى لاهله وتمرين على الاعمال الجديدة واعداد لقوى يكونها الاحتكاك في الافكار والتربية تحت الاحضان · ولو لم تتداخل اوروبا في الشؤن الشرقية بالتجول في هذه الاقطار والتغلب على بعضها ونقل التجارة اليها ونشر جرائدها بين قوم ما كانوا يعلمون شيئاً من احوال اوروبا لبقي الشرق على اغتراره بكلام اهل الاطماع وظنه الصدق في اخبار محبي الاستعباد وتوهمه الحق في

فعل ملوك الاستبداد وما كشف لاهل الشرق حقائق الاوهام الا تلك المخالطة المباركة التي استفاد بها الاوروبيون مالاً واستفاد الشرقيون منها علوماً ولئن تجزأت اقطارهم ووقع الكثير منها تحت سوط استعباد اوروبا ولم يبق الا راس الجسم الشرقي وقلب حياته فلسوف ترينا الايام من تدافع القوى الفكرية في جميع الامم الشرقية ما يحملها على التخلص من ذل الاستعباد بضغط المستعبد وسلبه حقوقهم واكراههم على التخلي عما الفوه واعتقدوه فان الشرقيين ليسوا نوعاً غير نوع الانسان حتى يحكم عليهم بعدم مجاراة الامم التي خضعت لغيرها بحكم الضعف والجهل حتى تربت وقويت مادتها العلمية فحملتها على الرجوع الى ما كان عليه السابقون من سكان ارضهم احق بها واهلها . وكأني بجاهل بحقائق الامم وكيفية تكوين الدول بالتربية والاختلاط يعترض على هذا الكلام بل يسخر منه اغتراراً بقوة من اشتروه بثمن نعل فنكل امره الى المستقبل حتى تناديه امم الشرق قائلة ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون . ولا يظن جاهل ان تلك الحركات الشرقية ثورة عدوانية او اضطراب فوضوي فانما هي قوة فكرية تمكنها منها حركات اوروبا بين دافع ومدفوع فيخلو الجو لامم الشرق تحت مراقبة الغرب يوم يساوي الشرقي الغربي في التصرف في الامور بالحذق والدهاء والصبر على الشدائد ولئن استبعدنا حصول ذلك في قرن نحن في اوله كما يزعم المموهون فاننا لا نستبعد ان تلد الايام من حوادث اوروبا ما يمنعنا بنوال تلك الامنية عن قريب فكم في بطون الليالي من بواعث لم تستعد لها اوروبا الآن وما دامت الاطماع تزيد والافكار تتوارد على الامم رغبة ورهبة فالسكون يكون نسبياً

موقناً بين الملوك وما علينا الا ان نقعد على بساط الامن متفرجين على العالم حتى تنتهي الدول الى مضار الانبعاثات العدوانية وهناك نرى السابق من اللاحق ونحقق من احرز الرهان . وقعودنا بهذه الصورة يقضي بعدم ارتجافنا من الوعيد الوهمي وخوفنا من التهديد الخيالي ولاعراض عمن يغمسون اقلامهم في نعمة الشرقيين ليكتبوا بها معايب لمن اغنوهم ويجلبوا بها مصائب على من آووهم فما يضرك الا رجل يدعي انه اخوك ويزعم انه شريك لك في الحقوق يناديك باهجتك ليخرجك من بيتك ويسلمك الى الخاسين الذين طافوا الارض لاسترقاق الاحرار . فلو ترك الشرقيون والاوربيين لتمتع الفريقان بثمرة المخالطة وتمكنت منهما دواعي المحبة وتاكدت روابط الالفة بالاشتراك في المعاملة والمساكنة وما اوغر الصدور وافسد النيات الا هؤلاء الكتاب الذين قبحوا الشرقي للغربي وافتروا عليه الاكاذيب وملأوا بها جرائدهم وكتبهم ونشروها بين العالمين الشرقي والغربي فظن الغربي ان الشرقي بهيم لا يصلح للملك ولا يليق الا للاستعباد والقهر وظن الشرقي ان الغربي عدوه الالد الساعي في سلب سلطته ونهب ثروته واعدام دينه واستعباد اخوانه فوقعت النفرة بهذه المفتريات وما زاد النار احتداماً الا بعض الشرقيين الذين استخدمهم الغربيون باجرة لا تزيد عن ثمن نعل فاخذوا يبارزون من كانوا اخوانهم قبل ان يبيعوا انفسهم ويوهمونهم بكلمات لا طائل تحتها فكانوا اشد على الشرقيين من الغربيين فهم الاعداء الالداء والخوَنة العادون فيجب على كل شرقي ان يحذر من فتنهم وينتبه لدسائسهم ويفتش كلامهم ليستخرج منه ما شابوه به من دعوى

المماثلة في الجنس والموافقة في التابعية والمحافظة على المصلحة الشرقية تغريرًا للمغفلين واستجلاباً لقلوب الحمقى فانك لا تجد مصدقاً لدعاويهم الاان كان ابله او معتوهاً وليست هذه الشرذمة ناصرة على فردين او ثلاثة في ارض مخصوصة بل هي افراد منتشرون في الشرق والغرب يستهيجون الشرقيين بدعوى التحميس والتشجيع ويستدعون اوربا بدعوى المحافظة على الامن والخوف من الحركات الدينية التي لا يعرفها الشرقي وهي نصب عين كل غربي . وكم كتب هذا الفريق كتباً ونشرها بين الغربيين ليبيع وطنه واخوانه بلقمة يتناولها طيبة ويخرجها منتنة وبئسما اختاروا لانفسهم فان اظلم الناس لنفسه من يظلم الناس للناس

واذا ضلت العقول على عا م فماذا تفيده النصحاء

فنحذر اخواننا الشرقيين من مقاربة المضلين ومخالطتهم ونطلب منهم ان يقرأوا عواقب ما هم فيه من الشدة وينظروا المستقبل بعين البصراء الذين لا تزعزعهم العواصف ولا تستميلهم الاباطيل وان يجعلوا معاملة الاجنبي بالمعروف ومخالطته مخالطة المثل نصب اعينهم مع التزام الهدو والسكون وعدم الميل الى الاوهام وما ينصبه الاعداء من اشراك الهيجان والاضطراب فانهم ان لزموا هذه الحالة قاوموا كل تهديد ووعيد واظهروا لاوربا انهم بقصدهم وحسن تصرفهم في الامور قد قاوموا بقوة مدنيتهم حرب الاقلام بجيوش الاوهام

***

تهنئة قدوم

لقد عاد الى مصر حضرة الاديب الاريب الكاتب السياسي الفاضل